



نسق المخاتلة عند أبي حيان التوحيدي
قراءة تحليلية تأويلية لكتاب (أخلاق الوزيرين)

The Pattern of Deceit according to Abu Hayyan Tawhidi:
An Analytical and Hermeneutic Reading
of the Book 'The Morals of the Two Ministers'

عبد الحميد سيف الحسامي¹، أيمن علي جاهر القبيسي²

¹ جامعة الملك خالد، أبها (المملكة العربية السعودية)، alhosami11@yahoo.com

² جامعة الملك خالد، أبها (المملكة العربية السعودية)، aaq1982@hotmail.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة من ظواهر الكتابة عند أبي حيان، ونسق من أنساق الكتابة في مدونته، يتمثل في نسق المخاتلة، وقد وجد الباحثان أن كتاب (أخلاق الوزيرين) يمثل هذا النسق ابتداء من عنوانه الذي وصل إلينا بصيغ مختلفة تحمل كل صيغة منها دلالة مهمة على بنية الكتاب، ومضمونه، ودوافع تأليفه، ثم خطاب المقدمة الذي يعد الجزء الأهم من هذا الكتاب، والذي تبين من خلال هذا البحث أنه محور الكشف عن بنية الخطاب في الكتاب. وقد وصل الباحثان انطلاقاً من القراءة التحليلية التأويلية التي استخدموها في هذا البحث إلى نتائج، أهمها: أن خطاب أبي حيان في كتاب (أخلاق الوزيرين) يمثل نسقاً مهماً من أنساق الكتابة في مدونته هو نسق المخاتلة، الذي هدف أبو حيان من خلاله إلى التدرع بقوة السلطة بمستوياتها المختلفة؛ ليمرر موضوع كتابه الذي يعد من الموضوعات الطريفة والنادرة، والمحفوفة بالمخاطر في الوقت نفسه.

كلمات مفتاحية: التوحيدي، أبو حيان، أخلاق الوزيرين، الخطاب، النسق

ABSTRACT:

This research aims to explore a writing phenomenon in Abu Hayyan's works, particularly the style of deceit manifested in his book "Ethics of Two Ministers". The researchers found that this style is evident from the title itself, which has reached us in various forms, each carrying significant implications for the structure, content, and motivations behind the book. They also examined the introduction, which proved to be the pivotal part in revealing the discourse structure within the book. Through the utilization of hermeneutical analysis in this study, the researchers arrived at several important findings. Firstly, they discovered that Abu Hayyan's discourse in the book "Ethics of Two Ministers" represents an important style of writing in his body of work, namely the style of deceit. Through this style, Abu Hayyan aimed to fortify the power of authority at various levels, as he presented his subject matter, which is both intriguing and rare, while simultaneously fraught with risks.

Keywords: Tawhidi, Abu Hayyan, Ethics of Ministers, discourse, style

1. مقدمة:

يعد أبو حيان التوحيدي من أكثر الأسماء في تراثنا العربي إثارةً للجدل، وتحفيزاً على القراءة والبحث، على مستوى سيرته وشخصيته، وعلى مستوى آثاره ومؤلفاته.

وقد اختلف النقاد في قراءة نصوص أبي حيان وتأويلها، وهذا الاختلاف ناتج من اختلاف خطاب التوحيدي نفسه، وانفتاحه على التأويلات المختلفة أولاً، ومن اختلاف منطلقات النقاد الذين درسوه وتعدد مرجعياتهم ثانياً، لذلك فقد أنجز في الكتابة عنه الكثير من الدراسات، وأُلف في قراءة نصوصه ونقدها العديد من المؤلفات.

يهدف هذا البحث إلى محاولة الوصول إلى فهم النسق الذي تقوم عليه الكتابة عند أبي حيان، في كتاب (أخلاق الوزيرين)، مستفيداً من مناهج تحليل الخطاب، ومنطلقاً من تصور يرى في النسق النظام اللاواعي المتحكم في الخطاب، أو القانون المهيمن على العلاقة بين عناصر الخطاب، الذي يجعل من الخطاب كلاً متميزاً، ويكسب كل عنصر فيه وظيفة لا تتحقق إلا داخل ذلك النظام، وهو بذلك مؤثر في تلك العلاقة بين العناصر، ومتأثر بها في الوقت نفسه.

وبذلك يكتسب البحث أهميته من كونه يفيد من المناهج النقدية الحديثة، للبحث في نظام الكتابة عند أبي حيان، الذي كان كثير من النقاد يصف الكتابة عنده بالاضطراب والتشتت، ويرى صعوبة الوصول إلى فهم دوافع الكتابة في مؤلفاته وبنياتها وعناصرها وتحولاتها، وهو ما وسمناه في هذا البحث بـ"نسق الكتابة".

1- دلالة العنوان: الإيهام بالموضوعية

إذا بدأنا بمحاولة تحليل خطاب الكتاب فإن أول مداخله المهمة هو العنوان الذي نقرؤه بصيغ مختلفة في المصادر والدراسات، فهل هو "مثالب الوزيرين" أم "ذم الوزيرين" أم "أخلاق الوزيرين" أم "أخلاق الصاحب وابن العميد"؟، وهذا التساؤل كان حاضراً عند محققي الكتاب، وقد حاولوا الوصول إلى العنوان الأرجح من بين تلك العناوين، ومن هؤلاء المحقق محمد تاويت الطنجي الذي رجح أن يكون الاسم الذي وضعه أبو حيان هو (أخلاق الصاحب وابن العميد)، وعلل اختياره لهذا العنوان بقوله: "لقد اختار أبو حيان للتعبير عن مضمون هذه الرسالة كلمة أخلاق، والسبب الذي دعاه أن يسلك مسلك الحذر والاحتياط، ويختار هذا العنوان لرسالته دون غيره في مجالسه الخاصة، لا يزال قائماً، وبصفة أخطر وأدعى للاحتياط والخوف عندما يذيع كتابه ويعرضه على الجماهير، وفهم العدو المتربص، والحسود الذي لا يرحم... وأبو حيان لم يكن من الجرأة ومناعة الجانب بحيث يتحدى الوزيرين وأشياعهما، فيسمي كتابه "مثالب" أو "ثلب" أو "ذم" الوزيرين"⁽¹⁾.

ويضيف الطنجي إلى ما سبق من مسوغات اختيار العنوان أن العنوان المختار يتسق مع ما ادعاه أبو حيان في مقدمة الكتاب -كما سيتبين- من أنه سيكون منصفاً بذكر مساوئ الوزيرين ومحاسنهما، وسيتحرى في حكمه الصدق والعدل، فكلمة أخلاق- في رأي المحقق- هي التي تتسع للخطة التي رسم أبو حيان حدودها في مقدمة كتابه، فلم يقتصر في أحاديثه عن الوزيرين "على ما كان طالباً لمقتهما، وداعياً إلى الزرابة عليهما، وباعثاً على سوء القول والاعتقاد فيهما"⁽²⁾، بل أضاف إلى هذه الأحاديث "ما شاع من فضائل لم يثلثها فيها أحد في زمانهما، ولا كثير ممن تقدمهما"⁽³⁾.

لفظة "الأخلاق" -كما بين المحقق- توهم بالموضوعية، وتتسق مع ادعاء الكاتب عدم التركيز على المساوئ وإهمال المحاسن، والعنوان هو أول مؤشرات الخطاب الدالة على النسق، "تبدأ لعبة المخاتلة من عنوان النص، ولا تتوقف حدود اللعبة عند مراوغة المتلقي المتربص، سلطويًا كان أم لا، صديقًا أم عدوًا، بل لعلها تتجاوز إلى الذات الكاتبة ذاتها، حيث تغويها فتنة الذم والثلب، لكنها تخشى التصريح بها"⁽⁴⁾.

إن وضع لفظ "الأخلاق" في مقابل البدائل الممكنة يشير إلى أن أبا حيان تخير اللفظ تخيراً مقصوداً "حاد فيه عن بدائل لفظية أخرى تدور في فلك السب والانتقاص كالمثالب والذم؛ لأن تصدير العنوان بهذا اللفظ (أخلاق) يسم الخطاب بسمة تتفق وروح العلم

المتجردة من أهواء الأنا، وبذلك يحقق فعلاً تواصلًا مع المتلقي استثمار فيه الطاقة اللغوية الخلاقة، فالذات المنشئة تعلم مدى تأثير الحركة اللفظية التداولية والحجاجية ودورها في تهيئة أفق انتظار المتلقي لاستقبال العمل، ومن ثم تنحى عن بدائل لفظية أخرى قد تسهم في نفور المتلقي⁽⁵⁾، أو تدفعه للانطلاق في القراءة من تصور مسبق بأن الكتاب شكل من أشكال الانتقام الذاتي المحمل بمعاني الشتم والذم.

2- خطاب الدعاء: تبرئة الذات

يبدأ الكتاب بمقدمة صدرها الدعاء، الذي لا يخلو من إشارات دالة، تكتسب أهمية في تحديد بداية المسار الذي سيسلكه الكتاب، لذلك جاء الدعاء افتتاحًا مبيتًا لموضوع الكتاب، فبعد أن دعا للمخاطب -الذي لم يبين هويته أو صفته- بأن يمتعته الله بنعمه وبوزعه شكرها تحول إلى الدعاء له بأن يعرّفه الله ما في الغيبة وإظهار العيوب من الشناعة والعار، وهذا هو مفتاح الدخول إلى الموضوع: "... وعرفك ما في الغيبة والفرية من الهجنة والشناعة؛ وما في إظهار العيب والتنديد من العار والتباعة، وما في الإعراض عن أعراض الناس من السلامة والفائدة، وما في مياقاتهم ومقاربتهم والتوقير لهم من الراحة والعائدة"⁽⁶⁾.

والسؤال الذي يثيره هذا النص من الدعاء هو: لماذا بدأ أبو حيان كتابه بهذا الدعاء؟ إن هذا الدعاء للمخاطب بأن يعرّفه الله خطر الغيبة وشناعتها يحتمل دلالات عدة، أولها ما له علاقة بالعنوان الذي رأينا أنه جاء معبرًا عن الموضوعية والحياد، ووفق هذا يكون الدعاء قد جاء تأكيدًا لهذا المعنى، أي أن الكتاب ليس غيبة ولا كشفًا للمعائب بقدر ما هو وصف موضوعي للمحاسن والمساوئ.

المعنى الثاني قريب من الأول، ولكنه متعلق بالمتكلم (الكاتب)، وهو تبرئة الذات من الميل إلى هذا الخلق المذموم، وإصاقه بالمخاطب؛ فالدعاء له بمعرفة سوء هذا الخلق يحتمل جهله به، والتعرف على جهله لا يكون إلا بقوله أو فعله الذي يرتكب بأحدهما الذنب، وهنا يمكن القول إن هذا الفهم يقتضي أن ما سيأتي في هذا الكتاب مما يدخل في باب الغيبة وكشف المعائب إنما هو مسؤولية المخاطب المخصص بالدعاء.

وفي كل الأحوال يعدّ هذا الدعاء مدخلًا مهمًا لتأسيس الحوار الذي سيدور بين أبي حيان والمخاطب (الذي يُرجّح أنه من ذوي السلطة)، فهذا الدعاء مقدمة وقاعدة أراد أبو حيان أن يجعلها في بداية الكتاب، وفي أولى مقدماته. وبذلك يكون معنى المقدمة وغايتها تأكيد أن: (الغيبة مذمومة وكشف المعائب عار).

نسق المخابلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

لقد كان نص الدعاء موجهاً إلى متلقي خاص، ولكنه يحتمل استهداف عقل أي منفعل بالخطاب؛ "إذ به ينجز أبو حيان صورة ذاته المسبقة قبل أن يشرع في استكناه الفعل المحاجج للكتابة، والنص كذلك يكشف عن إدراك المتكلم لطبيعة المتلقين وردود أفعالهم المحتملة لو كشف بداية عن إشكاليته؛ إذ يخضع رأيه التمهيدي الأول إلى أن اللغة لا بد لها أن تخضع في ممارستها إلى الأعراف الاجتماعية والدينية"⁽⁷⁾.

3- إدانة المخاطب والتحرز من المسؤولية:

بعد التمهيد بالدعاء يبين أبو حيان الأسباب التي دفعت به إلى التأليف في هذا الموضوع موجهاً الخطاب إلى المخاطب مباشرة، وملفوظ الكلام "يوهم معناه أن التأليف جاء نتيجة طلب من جهة عليا، لا يصحح المتكلم بهويته، ولكن ملفوظه-أي المتكلم- يشي بسلطة ذاك الراغب وإمرته، حيث ألفاظ الدعاء التي تسفر في بنائها التداولي العميق الإقحامي إلى ارتفاع المقام ورفعته"⁽⁸⁾، يقول: "وهذه الجملة - أكرمك الله- أنت أحوجتني إليها، وجشمتني صعبها حتى نشبت بها قائماً وقاعداً، وتقلب في حافاتها مختاراً ومضطراً، وتصرفت في فنونها مُحسناً ومُسِيئاً، لما تابعت إليّ من كتاب بعد كتاب، تُطالبني في جميعه بنسخ أشياء من حديث ابن عبّاد وابن العميد وغيرهما ممّن أدركت في عصري من هؤلاء، منذ سنة خمسين وثلاثمائة إلى هذه الغاية، وزعمت أني قد خبّرت هذين الرجلين من غمار الباقين...ولعمري قد كان أكثر ذاك، إما بالمشاهدة والصُّحبة، وإما بالسماع والرواية من البطانة والحاشية والتُدماء وذوي المُلَابسة"⁽⁹⁾.

يجعل أبو حيان الكتابة "جواباً على ابتداء أرسل به إليه مرسل حثه على التأليف في هذا الموضوع"⁽¹⁰⁾، وهنا يتساءل أحد الباحثين: "هل كان ذلك من باب التقية أم كان استجابة لطريقة في الكتابة سائدة في العصر؟"⁽¹¹⁾. إن جواب هذا السؤال بالنسبة لهذا البحث يجب أن يُربط بسياق الخطاب عمومًا، وبالنظر إلى المعطيات النصية السابقة واللاحقة، لذلك نقول: إنه بالنظر إلى الدعاء في المقدمة، وما دل عليه الجدل حول الشعر والنثر السابق على هذا النص، وبالنظر إلى موضوع الكتاب الذي يمس شخصيتين من شخصيات السلطة المرموقة، كل ذلك يجعلنا نقول: إن التوجه بالخطاب في هذا الموضوع - الذي يمثل البداية الحقيقية للمقدمة وقبل الدخول في تفاصيل الموضوع وخطة الكتابة- هو وسيلة من وسائل الدفاع الاستباقية التي اتخذها أبو حيان، فالدافع إلى الكتابة وفق هذا النص دافع خارجي على نحو ما رأينا في كتاب (الإمتاع والمؤانسة)، فالكتبان يلامسان

محمد العميد سيفه العسامي، أيمن علي، جاسر القبيسي، مجلة فصل الخطاب

شخصاً سلطوية تحتاج الكتابة عنهم إلى التخفف من المسؤولية قدر الإمكان، وبكل وسيلة متاحة، وأولى هذه الوسائل التبرؤ من الدافع الشخصي للكتابة، وإلقاؤه على سلطة أخرى يمكنها أن تكون قادرة على الأمر بالكتابة.

يقودنا هذا التأويل إلى السؤال عن هوية المخاطب، فمن الباحثين من رأى أن المخاطب هنا هو شخصية افتراضية من اختراع أبي حيان "لا يُستبعد أن يكون خطة في الكتابة عمد إليها الأديب مثلما عمد إليها أدباء من قبله. ويتأكد هذا الرأي بمعطيين: معطى داخلي متمثل في غموض صورة المرسل إليه وخلو الكتاب من علامات دقيقة تحدد هويته، ومعطى خارجي متعلق بعملية الكتابة والتأليف في قديم العرب، وتقوم على قاعدة الطلب وتحقيق الطلب: يطلب الأمير أو الوزير أو القاضي أو رجل السياسة عامة إلى الأديب أن يؤلف له في موضوع ما مقترحاً عليه التأليف، وقد يعتمد المؤلف إلى إنشاء مؤلف له ويجعل كتابه تلبية لرغبته واستجابة لما اقترحه عليه"⁽¹²⁾.

أما الرأي الآخر فهو أن المخاطب في كتاب (أخلاق الوزيرين) هو نفسه الوزير الذي سامره أبو حيان في (الإمتاع والمؤانسة)، الوزير أبو عبدالله العارض، ويدل على ذلك ما جاء في الليلة الرابعة من الإمتاع، حيث يروي أبو حيان أن الوزير سأله عن ابن عباد، فقال: "إني أريد أن أسألك عن ابن عباد فقد انتجعتة وخبرته وحضرت مجلسه، وعن أخلاقه ومذهبه وعاداته، وعن علمه وبلاغته، وغالب ما هو عليه، ومغلوب ما لديه، فما أظنّ أني أجد مثلك في الخبر عنه، والوصف له..."⁽¹³⁾، وكان جواب أبي حيان أن قال: "إني رجل مظلوم من جهته، وعاتب عليه في معاملتي، وشديد الغيظ لحرمانني، وإن وصفته أربيت منتصفاً، وانتصفت منه مسرفاً، فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب، أو عارياً منهما جملة، كان الوصف أصدق، والصدق به أخلق، على أني عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نفسي الغزير، ولفظي الطويل والقصير، وهي في المسودة ولا جسارة لي على تحريرها، فإنّ جانبه مهيب، ومكره ديب"⁽¹⁴⁾، فطلب الوزير إلى أبي حيان أن ينسخ له الرسالة التي ذكرها، وهي موضوع الكتاب الذي بين يدينا (أخلاق الوزيرين)، قال الوزير: "دع هذا كلّهُ، وانسخ لي الرسالة من المسودة، ولا يمنعك ذاك فإنّ العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها"⁽¹⁵⁾.

وإذا توقفنا عند النصين الواردين في الكتابين، وحاولنا الجمع بينهما فإنه يمكننا القول: إن نص الإمتاع يبيّن بوضوح أن أبا حيان حاول إغراء الوزير واستدراج سلطته وتوريثها في فعل الكتابة من خلال تبني هذا المشروع الخطابي، وتحسينه تحصيلًا سلطويًا،

نسق المخطألة عند أبي حيان التوحيدى قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

سيما أن ملفوظه يفيد تنفيذ المشروع صراحة واكتماله، إذ لم يبق لإتمامه سوى التبييض والتقديم، ولكن الخوف حال دون التحرير، لذلك يمكن القول: إن مجلس (الإمتاع والمؤانسة) كان الفضاء المولّد لمشروع إخراج كتاب (أخلاق الوزيرين)⁽¹⁶⁾. فما جرى في الليلة الرابعة من الإمتاع كان مقدمة استدعت إلحاح الوزير وطلبه المتكرر الذي استغله أبو حيان ليجعل منه دافعاً للكتابة، في محاولة لإخفاء الدافع الذاتي الذي ذكره في الإمتاع، أو على الأقل جعله ثانوياً في مقابل الباعث الرئيس وهو طلب الوزير.

إنها حيلة ذكية من الذات الراوية التي تسعى إلى استغلال طلب الوزير "لتمنح نفسها عبره لا السلطة والمشروعية والمركزية المعرفية والقيمية فحسب، بل الحماية والأمان والتقية، إذ إنها لم تقل ما قالته متبرعة أو مبادرة بالشر، بل عن سؤال ورغبة ملحة وأمر صارم من الوزير لا يمكن مخالفته"⁽¹⁷⁾.

ومن المهم هنا التنبيه لمحاولة تبرئة التوحيدى لنفسه من الكتابة المدفوعة بدوافع الغضب، والانتصار للذات، الذي يُخرج الكتابة من دائرة الصدق والموضوعية: "فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب، أو عارياً منهما جملة، كان الوصف أصدق، والصدق به أخلق"⁽¹⁸⁾ فالذات تصور ذاتها في صورة موضوعية راقية، وتحدث بشفافية حين تعترف في هذا المقام بتحيزها العاطفي ولا موضوعيتها، التي قد تدفعها إلى التجني على صاحب لغيظها وحنقها⁽¹⁹⁾.

وبالرجوع إلى نص (أخلاق الوزيرين) نلاحظ تركيز أبي حيان على رغبة الوزير الملحة في إنتاج هذا الكتاب، بما يصبو للقارئ تحول هذا الطلب إلى قوة ضاغطة، جعلت الكاتب واقعاً بين الاختيار والاضطرار، فما كان في الأصل اختياراً -فيما نقرأ في الإمتاع- سيزاحمه الاضطرار، الذي تصنعه قوة سلطة الوزير: "وتقلّبتُ في حافاتها مختاراً ومضطراً، وتصرفتُ في فنونها مُحسناً ومُسيئاً، لما تابعت إليّ من كتابٍ بعد كتاب"⁽²⁰⁾، ولا ينسى أبو حيان هنا أن يبيّن ما يملكه من الكفاية المؤهلة لتأليف هذا الكتاب، فهو خبير بالوزيرين وعارف بأخلاقهما معرفة لها مصادر موثوقة: المشاهدة والصحبة، والسمع والرواية، والاختلاط بالبطانة والحاشية: "ولعمري قد كان أكثر ذاك، إما بالمشاهدة والصحبة، وإما بالسمع والرواية من البطانة والحاشية والتُدماء وذوي الملابس"⁽²¹⁾، وغاية أبي حيان من هذا إخراج ما سيكتبه من دائرة الكذب والافتراء مرة أخرى، وجعل نفسه مستهدفاً من السلطة نظراً لما

يعرفه من المعلومات الموثوقة، وتأكيد حاجة الوزير إليه، التي تجلّت في تكرار المطالبة بالكتاب بعد الكتاب.

4- شروط الكتابة: إملاءات السلطة وتحريضها

يدون أبو حيان ما قاله الوزير في مطالباته التي أرسل بها إليه، فيبدأ بالشروط التي يجب أن تتحقق في الكتاب، وأولها ضرورة أن يشتمل الكتاب على ما يجعل نشره مفيداً، وذلك لا يتحقق إلا بالجمع بين المحاسن والمساوئ فلا يقتصر الكتاب على جانب دون الآخر: "وقلت: ينبغي أن تُضيف إلى ذلك ما يتعلّق به، ويدخل في طرازه ولا يخرج عن الإفادة بذكره، والاستفادة من نشره؛ فإن ذلك يأتي على كل ما تتوق إليه النفس من كرم ولؤم، وزيادة ونقص"⁽²²⁾.

أما ثاني الشروط -وهو شرط محمّل بالتحريض والدعم- فهو الجرأة على الكتابة، دون انتقاء أو خشية من الملامة، لأن هذا الفن لا مكان فيه للتقية والخوف: "وقلت: ولا يحلو موقع ذلك كله ولا يعتدّب ورده، ولا يغزر عدّه، ولا ينقاد السمع له، ولا يراح القلب به إلا بعد أن تدع المحاشاة وأنت مُقتدر، وتفارق المخاشاة وأنت مُنتصر، وإلا بعد أن تترك العدو والحاسد ينقدّان بغیظهما انقدادا، ويرتدّان على أعقابهما ارتدادا؛ فإنّ التّقية في هذا الفنّ مَجْزعة مضرعة، وركوب الردع فيه مَأثرة ومَفْخَرة"⁽²³⁾.

ويتصاعد خطاب تحريض الوزير لأبي حيان، ليتحول إلى درجة إيغار الصدر، كل ذلك في سبيل دفعه نحو الكتابة التي اعتذر عنها لأسباب أخلاقية، ولكيلا تكون هذه الكتابة مجرد ردة فعل تفتقد إلى الموضوعية، فتصبح شكلاً من أشكال الانتقام. وهنا سيكون دور الوزير محاولة تغيير هذا الرأي، وجعل الكتابة في مثل حال أبي حيان مع الوزيرين فضيلة لا رذيلة، ليصبح إظهارها ونشرها كتابة خير من السكوت عن الحديث بها: "وقلت والعامة تقول: من جعل نفسه شاةً دقّ عنقه الذئب، ومن صيّر نفسه نُخالةً أكله الدجاج، ومن نام على قارعة الطريق دقّته الحوافر دقًا، والكِبْرُ في استيفاء الحق من غير ظلم، كالتواضع في أداء الحق من غير ذلّ، وكما أن المنع في موضع الإعطاء جرمان، كذلك الإعطاء في موضع المنع خذلان؛ وكما أن الكلام في موضع الصمت فضلٌ وهدر، كذلك السكوت في موضع الكلام لكنةٌ وحصر، وكما أن القلوب جُبلت على حُبّ من أحسن إليها، كذلك النفوس طُبعت على بُغضٍ من أساء إليها"⁽²⁴⁾.

الكتابة في هذا الموضوع هي شكوى المحروم التي لا يجد برد غله ولا لذة حياته إلا بها، فهجاء المانع وذم المقصر صورة ومن صور العدل، ما دام الكلام حقًا فيمن يستحق، وهي

نسق المخابلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

عادة جارية على وجه الدهر: "وكما أن المنعم عليه لا يهتمّ بنعمته الواصلة إليه إلا بالشكر لوأهبها، كذلك المُساء إليه لا يجد بَرْدَ غُلْتِه وَلَذَّةَ حياته إلا بأن يشكو صاحب الإساءة، وإلا بأن يهجو المانع، ويذمّ المقصّر، ويثلب الحارم ويُنادي على الخسيس الساقط، والنذل الهابط، في كلّ سوق، وفي كلّ مجلس، وعند كل هزلٍ وجدّ، ومع كل شكل وضدّ؛ ميزانٌ عدل، ووزنٌ بقسط، ونصف مقبولة، وعادةٌ جارية على وجه الدهر"⁽²⁵⁾.

يستخدم الوزير كل وسائل التحفيز، وطرائق التحريض، وكلمات التجيش، فقد بدأ بذكر فائدة تأليف هذا الكتاب بصفته كتاباً في الأخلاق، ثم استشهد بأقوال العامة وعاداتهم الجارية، وسيصل هنا إلى تذكير أبي حيان بالوجع الذي أصابه، والألم الذي لاقاه في مصاحبة الوزيرين، بخطاب يمس حدود الكرامة الإنسانية، فلو أن أحداً عانى مثل ما عاناه أبو حيان لقال وكتب، وعرض وصرح: فالعين التي تنام على الضيم العى أولى بها، والنفس التي تفر على الذل الموت أولى بها: "وقلت: ومَن وجع قلبه وجَعك، وألم علته أملك؛ وحرّم حرمانك، وخيّب خيبتك، وجرّع ما جرّعته، وقصد بما قصدت به، وعومل بما شاع لك، قال وأطال، وكثر وسيّر، وأعاد وأبدى، وعرض وصرح، ومرّض وصحّح، وقام وقعد، وقرب وبعد؛ وإنّ عيناً ترقد على الضيم للعى أحسن بها، وإن نفساً تقرّ على الخسف للموت أولى بها من حياتها"⁽²⁶⁾. إن الوزير هنا "يواصل استفزاز الذات الكاتبة، مؤكداً أن صنع المرء مصيره، وتحديد قيمته الإنسانية مرهون بالمقام الأول برفضه لأن يُسحق أو يُذل، أو يقبل التنازل عن حقوقه، ويتواضع حيث لا يليق التواضع، أو يسكت في موضع الكلام"⁽²⁷⁾.

وقبل أن يختم الوزير هذا التوجيه يتنبه باستدراك ذكي إلى ضرورة تحسين صورته الشيطانية الإغوائية التي ظهرت في الجزء السابق من خطابه لأبي حيان؛ فبعد أن وصل في الإغراء والتحريض إلى درجة قد تشكك في حسن نيته، استدرك ذلك بتخفيف حدة الخطاب، ليعود إلى نقطة البداية، ويوجه أبا حيان إلى العدل في النقد، فلا يقتصر في كتابه على ما يثير المقت على الوزيرين، بل يجب أن يذكر محاسنهما وفضائلهما التي شاعت بين الناس، وذلك من العدل المحمود في مثل هذه الكتابة: "وقلت أيضاً: ولست أسألك أن لا تذكر من حديثهما إلا ما كان جالباً لمقتهما، وداعياً إلى الزّراية عليهما، وباعثاً على سوء القول والاعتقاد فيهما، بل تُضيف إلى ذلك ما قد شاع لهما وشهر عنهما، من فضائل لم يثُلّهما فيها أحد في زمانهما، ولا كثير ممن تقدّمهما؛ فإنّ الفائدة المطلوبة في أمرهما وشرح حديثهما،

محمد الحميد سيفه العسامي، أيمن علي، جاسر القبيسي، مجلة فصل الخطاب

تأديب النفس واجتلاب الأنس، وإصلاح الخلق... مع العدل المحمود فيما أشكل واشتبه بين الحسن المطلق والقبيح المطلق⁽²⁸⁾.

ثم يختم الوزير هذا الخطاب بجواب عن سؤال يدرك أنه مما يمكن أن يثيره كلامه، وهو سؤال عن الدافع إلى تقديم كل ما ورد في هذا الخطاب من تحريض وتوجيه وتخطيط، فيبين أن كل ذلك ما كان إلا لحرصه على أبي حيان وشفقته عليه، وكل ذلك ما كان إلا من باب النصيحة التي حث عليها الدين، وكأنه أراد تأكيد حسن النية، وتبرئة ذاته، وإخفاء رغبته في استغلال الفرصة لدفع أبي حيان للكتابة في هذا الموضوع المشكل: "وقلت: وإنما نهيتك على هذا شفقة عليك، وحرصاً على أن لا يكون لمُغْنِتٍ وعائٍ طريق إليك، وأنت - بحمد الله - مُستوصٍ لا تُحوج إلى تنبيه بعنف، وإن أحوجت إلى إذكاري بلطف..."⁽²⁹⁾.

إن تدوين هذا الخطاب الموجه من الوزير، فضلاً عما اشتمل عليه مما عُرض في الأسطر السابقة يثير العديد من التساؤلات، ويفتح مجال التأويلات المختلفة، وعلينا أولاً التنبيه إلى هذا الحرص من أبي حيان على كتابة مقالة السلطة وخطابها بكل ما يحمله سلباً أو إيجاباً.

ولعل من ضمن الاحتمالات المطروحة أن أبا حيان تصرف في كتابة خطاب الوزير أو ربما كان ذلك الخطاب خطاب أبي حيان نفسه الذي يوجهه عبر مرآة الوزير، ليجعل باعث كتابة الكتاب مسوغاً، ويبني سرده لمراحل الكتابة بناءً منطقيّاً؛ ليكسبه بكل ذلك التلقي المقبول. فالحقيقة في هذا النوع من الخطابات تكون عادة ملتبسة ومعقدة ومراوغة، وأهم ما يمكن استنتاجه بالنظر إلى السياق الذي وضع فيه خطاب الوزير، وما اشتمل عليه من الملفوظات، في علاقتها بالذات الكاتبة التي يمثلها أبو حيان هو سعي الذات لتبرئة ذاتها.

5- من الرادع الأخلاقي إلى الخوف من العواقب:

انتهى كلام الوزير الذي أراد أبو حيان أن يكتبه ونقرأه، ورجع الخطاب إلى أبي حيان فبدأ بجواب يذكرنا بما قاله ردّاً على كلام الشيخ في مقدمة الإمتاع⁽³⁰⁾، إذ ابتداءً بالقول: إنه فهم خطاب الوزير، وإنه غير جاهل به، ولا ذاهل عنه "وجميع ما قلته - حاطك الله - وأتيت به... قد سمعته وفهمته، وطويته في نفسي وبسْطَته، وجمعت به ذهني وفرّقته، ونظمتُه عندي ونثرته؛ ولست جاهلاً به ولا ذاهلاً عنه"⁽³¹⁾، ولكن السبب الذي منعه من الإقدام على الكتابة باندفاع إنما هو ضعف الحال، والخوف من المصير الذي ينتظره بسبب ذلك: "ولكن من لي بعناد ذلك كله، وبالتأني له، وبالقدرة عليه، وبالسّلامة فيه إن فاتتني الغنيمة فيه؟ مع صدري الضيق، وبالي المشغول ومع زُروح الحال، وفقد النَّصر، وسوء الجزع، وضعف

نسق المقاتلة محمد أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

التوكل⁽³²⁾، ولا ينسى أبو حيان تأكيد خطورة الإقدام على هذا المطلوب، وأن من يطع الوزير في طلبه سيء التقية لا يدرك العواقب، ولا يحسب اختلاف الناس في تلقي هذا النوع من الكتابة الراصدة للعيوب: "وإني لأظن أن الطائع لك في هذه الخطأ، والمجيب عن هذه المسألة، قليل التقية، سيء البقية، ضعيف البديهة والروية؛ لأنه يتصدى لما لا يفي به، ولا يتسع له، ولا يتمكن منه؛ فإن وفي واتسع وتمكن لم يسلم على كثير ممن يقرأ كلامه، ويتصفح أمره، ويقص أثره، ويطلب عثرته؛ لأن الناس في نشر المدح والذم، وفي بسط العذر واللوم؛ على آراء مختلفة، ومذاهب متباينة، وأهواء مشتتة، وعادات متعانة"⁽³³⁾.

تشير ملفوظات خطاب أبي حيان السابقة إلى تحول مهم في الخطاب، فبعد أن كان المانع من تأليف الكتاب ونشره مانعاً ذاتياً أخلاقياً بسبب الحرص على الموضوعية والعدل والإنصاف، ودينياً أصيلاً بسبب ما في الغيبة من الهجنة والشناعة، أصبح المانع الحاجة إلى الحماية، والخوف من استقبال المتلقين لمحتوى الكتاب، وهنا يمكن القول: إن خطاب الوزير المحرّض لعب دوراً مهماً في تغيير مسار الخطاب، ففضلاً عما كشفه من نيات الوزير وممارسته الإغوائية، فقد كشف ما كان يخفيه أبو حيان، أو لنقل ما أراد أن يخفيه حتى يحين وقته.

إننا أمام تصاعد سردي بارز لا يلحظه إلا من يتتبع مسار الخطاب من بدايته، إنها بنية سردية لا على مستوى حضور العناصر والشخوص والحوارات، بل على مستوى تحولات الخطاب، فنحن هنا أمام كاتب كان يؤمن بمبدأ أخلاقي منعه من الكتابة الثالبة الكاشفة للمعائب، يتعرض إلى الضغط والتحريض من السلطة، فيغير موقفه ابتداء من تحديد موانع الكتابة، ووصولاً إلى ما سيتبين من قراءة النصوص التالية، من تسويق هذا العمل وعرض كل المسوغات والحجج التي تجعله مقبولاً.

6- مشكلة التلقي: الرأي والهوى

اتجه خطاب أبي حيان بعد انتهاء نص خطاب الوزير إلى الدفاع عن الحق في تأليف هذا الكتاب متجهاً في الغالب إلى جمهور المتلقين، فبدأ بالقول: إن تلقي هذا النوع من الخطابات محكوم بالهوى والميل والتعصب: "على أنهم، بعد شدة جدالهم وطول مرائهم، رجالان: متعصب لمن تدّمه وتعيبه وتنت القبيح عنه، فهو يغتفر له جميع ما يسمع منك، صادقاً كنت أو كاذباً، معرضاً كنت أو مفصلاً. أو متعصب على من تمدحه وتزكّيه وتفضله وتثني عليه، فهو يردّ عليك كلّ ما تدّعيه، مُحققاً كنت أو مُجزّفاً، موضحاً كنت أو

مُزخرفاً؛ ولذلك قال بعض علماء السلف الصالح: هما أمران مَثْواك بينهما، راضٍ عنك فهو يمنحك أكثر مما هو لك، وساخطٌ عليك يتنقّصك من حقك؛ فرمٌ ما ثلم الباغي بفضلة الراضي يعتدل بك الأمر⁽³⁴⁾.

إنّ مشكلة المتلقي التي عرضها أبو حيان لم تكن باباً من أبواب الاعتذار كما كانت في بدايات المقدمة، بل إنها هنا ستصبح حقيقة يجب القبول بها والاعتراف بحتمية حدوثها؛ فهي كما يبين قائمة على العلاقة المضطربة بين الرأي والهوى، وهي علاقة لا تتحكم في المتلقي فحسب، بل إنها في الوقت نفسه تتحكم في الإنتاج ابتداءً، وهنا يمكن القول: إن أبا حيان وضع المتلقي في موقف المصارحة ليقول له: إن الذي جعلك تحكم حكماً متعصباً مشكلة إنسانية أنت (المتلقي) تقع فيها، وأنا الكاتب لا يمكن أن أدعي السلامة التامة منها: "ولا بدّ للهوى من أن يعمل عمله، ويبلغ مبلغه، وله قرار لا يطمئن دونه، وحدّ هو أبداً يتعدّاه ويتجاوزّه، وله غُول تُضِلّ، وتمسّاحٌ يبتلع، وثعبان - إذا نفخ - لا يُبقي ولا يذر، والرأي عنده غريب خامل، وناصحٌ مجهول"⁽³⁵⁾.

لقد أراد أبو حيان من خلال عرض مشكلة الرأي والهوى -كما سبق أن بينا- أن يواجه المتلقي بسؤال مهم في سياق ما هو بصدده: "وإذا كان الهوى - أبقاك الله - على ما وصّفنا، وعلى وراء ما وصفنا مما لا نُحيط به وإن أطلنا، فمتى يخلو المادح - إذا مدح - من بعض الإفراط تقرّباً إلى مأموله، وخبلاً لعقله، واستدراً لكرمه، وبغناً على تنويله وتخويله؛ وهذه حال مصحوبة في الممدوح إذا كان أيضاً غائباً أو ميتاً؟ أو متى يسلم الذام - إذا ذم - من بعض الإسراف تعنتاً لصاحبه وحماً عليه بالإنحاء الشديد، والقول الشنيع، والنداء الفاضح، والحديث المخزي، وجرياً مع شفاء الغيظ وبرد الغليل؟"⁽³⁶⁾ لقد أدرك أبو حيان أن أول إشكال يجب عليه حله في سبيل مراجعة رأيه السابق الراض لنشر الكتاب هو مناقشة فكرته الأولى التي دفعته للامتناع عن نشره، وهي الخوف من التعصب والانحياز، وقد حاول عبر هذه الحاجة أن يستدرج المتلقي إلى ساحة النقاش، ويضعه في موقف المسؤول، وخلاصة هذه الحجة: "إذا كنت أنت أيها المتلقي لا تسلم من تدخل الهوى في أحكامك، وإذا كان الهوى شراً لا بد منه متعلق بالإنسان في أي نقد للأشخاص، فكيف تطلب مني التخلص التام منه؟"، وقد استخدم أبو حيان فعلاً صيغة الاستفهام "متى يخلو؟ ومتى يسلم"، وهو أسلوب يتلاءم مع طبيعة التحاورية الافتراضية، التي تشكل خطاباً تداولياً حجاجياً موجّهاً من أبي حيان للمتلقي محاججاً إياه بهذه الحقيقة، التي يقرر بها تداخل الأهواء والعواطف

نسق المخاتلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

في نسج العمل الأدبي، وهذه المناورة الحجاجية يهدف بها القول: إن ما قد يصادفه المتلقي من هوى قد يتحكم في فعل التأليف هو أمر طبيعي⁽³⁷⁾.

إن البداية بتناول مشكلة العلاقة بين الرأي والهوى يمكن أن تثير الكثير من الأسئلة، وتحتمل العديد من التأويلات إضافة إلى ما سبق؛ "فحين تضع الذات الكاتبة الرأي في مقابل الهوى، فإن ذلك قد يمنحنا احتمالاً تأويلياً جديداً...مراوفاً...ذلك أن الذات الكاتبة تراوغ عبر مرايا الشروط السلطوية لتلوح بحضورها الطيفي في خلفية المشهد بوصفها التجسيد الأمثل لسلطة الرأي، بحكم انتمائها لأهل الحكمة أو المثقفين العقلانيين"⁽³⁸⁾، إن مثل هذا التأويل يبدو مقبولاً إذا نظرنا إلى حضور الوزير (صاحب السلطة) في مشهد الكتابة بصفته لا حامياً داعماً فحسب، بل شريكاً مشاركاً في عملية التأليف، من خلال وضع شروط الكتابة وحدودها، ولعل التأمل في الأوصاف التي منحها التوحيدي للهوى في نصه السابق تكشف عن تصور التوحيدي للهوى بصفته سلطة متوحشة: "وله غول تُضِلُّ، وتمسأحُ يبتلع، وثعبان - إذا نفخ - لا يُبقي ولا يذر"، كل ذلك لا ينفي أن أبا حيان حاول من خلال النص الكشف "عن معاناة الذات الكاتبة تحت وطأة الصراع الحاد بين ذلك الهوى الذاتي العتيد، والرأي العارض الذي لا ينمو في هذه التربة المضللة بغول الهوى المقيم الذي لا يفارق"⁽³⁹⁾.

يخاطب أبو حيان المتلقي خطاباً حجاجياً منطقيًا، ولكنه لا يكتفي بذلك، بل يدعم هذا الخطاب باستدراج عواطفه: "لأن جرعة الحرمان أمر من جرعة الثكل، وضياح التأميل أمض من الموت، وخدمة من لم يجعله الله لها أهلاً أشد من الفقر، وإنما يُخدم من انتصب خليفة لله بين عباده بالكرم والرحمة، والتجاوز والصّفح، والجود والنائل، وصلة العيش وبذل مادة الحياة وما يُصاب به روح الكفاية؛ وحرمان المؤمل من الرئيس ككُفْران النعمة من التّابع ..."⁽⁴⁰⁾. إنها محاولة "للظفر بالجمهور المتلقي الذي يضمن به سطوة الخطاب وتأثيره، ومن ثم ضمه في نظام حجاجي متماسك؛ فأبو حيان يعلم أن الطبيعة الموضوعية لخطابه تفرض جمهوراً مركباً غير متجانس، من أجل ذلك لم يحاول الاصطدام به مباشرة، وإنما عمد إلى سياسة الاستدراج والاستمالة والمناورة حجاجاً وتأثيراً"⁽⁴¹⁾.

ولعل من المثير للانتباه هنا أن الانحياز العاطفي تحوّل من مانع للكتابة في البداية ليصبح مسوغاً لها في هذه المرحلة، والسبب كما بينا أن أبا حيان كان محتاجاً إلى حماية السلطة السياسية، وبعد أن ضمن ذلك رأى أنه لا يمكن خوض هذه التجربة دون ضمان

أكبر قدر من دعم الجمهور، الذين يمثلون سلطة قد لا تمنعه من الكتابة، ولكنها ستؤثر في مساره الكتابي عمومًا، لا سيما أن الموضوع الذي يستعد للكتابة فيه لا يتفق عليه الجميع. وعلى سبيل تأكيد العلاقة بين المدح والذم (المتعلق بالهوى) وموقف السلطة من الكاتب، ينقل أبو حيان حوارًا دار بين الجرجاني بصفته ممثلًا للسلطة والحاتي بصفته ممثلًا للأدباء، وموضوع الحوار هو طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة القائمة على العطاء مقابل المدح أو الحرمان مقابل الشتم: "ولقد رأيت الجرجاني - وكان في عداد الوزراء وجلة الرؤساء - وإنما قتله ابن بقية لأنه نعلم له بالوزارة - يقول للحاتي أبي علي، وهو من أدهياء الناس:

إنما تُحرّم لأنك تُشتم

فقال الحاتي: وإنما أشتم لأنني أحرم.

فأعاد الجرجاني قوله.

فأعاد الحاتي جوابه.

فقال ثم ماذا؟ قال الحاتي: دع الدست قائمة، وإن شئت عملناها على الواضحة. قال: قل! قال الحاتي: يقطع هذا أن لا يسمعو مدائحهم، ولا يكثرثوا بمراثيمهم؛ وأن يعترفوا لنا بمزية الأدب وفضل العلم وشرف الحكمة، كما خذينا لهم بعظمة الولاية، وفضل العمل، وبسطة اليد... وأن يكتبوا على أبواب دُورهم وقصورهم: يا بني الرجاء! ابعدوا عنا، ويا أصحاب الأمل! اقطعوا أطماعكم عن خيرنا وميزنا... فلنسنا نرتاح لنترككم في رسالة تُحبرونها، ولا لنظمكم في قصيدة تتخيرونها... ومن فَعَلَ ما زجرناه عنه ثم نَدِم فلا يلومنا إلا نفسه... وإن من طمع في موائدنا يجب أن يصبر على أوابدنا... فأما إذا استخدمونا في مجالسهم بوصف محاسنهم، وستر مساوئهم، والاحتجاج عنهم، والكذب لهم؛ وأن نكون ألسنة نفاحة عنهم فليُثيبوا على العمل... فإن قصّرنا بعد ذلك في إعادة الشكر وإبدائه، وتنميق الثناء وإفشائه، فليتهم من مَنعنا في حلّ، ومن الإساءة إلينا في سعة"⁽⁴²⁾.

يكشف النص السابق أن السبب الرئيسي لهذا النوع من الكتابة هو الحرمان، ويضع السلطة أمام مكاشفة قلما نجدها في نص مكتوب: الكاتب يبحث عن التقدير فيلجأ إلى باب السلطة، وعلى السلطة أن تمنحه ما يريد، ما دامت تعدّه خادمًا لسلطتها، ولا يمكن لها التخلص من هذا العبء إلا بالاعتراف أولاً بفضل العالم والكاتب، ثم الإعلان ثانيًا عن رفض ما يوجه إليها من المدح نثرًا كان أو شعرًا، فإن فعل أهل السلطة ذلك سلموا من ذم أهل الكتابة والشعر، أما إن استخدموا الكتاب والشعراء في وصف محاسنهم وستر مساوئهم، والاحتجاج عنهم، والكذب لهم، فعليه أن يثيبوا على هذا العمل، وعلى الكتاب

نسق المخابلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتابه "أخلاق
الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

والشعراء إبداء الشكر والثناء وتنميته، وحين تختل هذه المعادلة فيكون الدم حينئذ وسيلة
عادلة يستخدمها الأدباء لرد اعتبارهم.

ولعل وصف أبي حيان لما قاله الحاتمي كان وصفاً مصيباً للهدف حين قال: "فرايت
الجرجاني - حين سمع هذا الكلام النقي، وهذه الحجة البالغة... وأنا أقول: قد صدق هذا
الرجل الجليل في هذا الحرف صدقاً لا تماري فيه"⁽⁴³⁾، إنه كلام نقي لم يختلط بالتمويه ولا
المواربة، ولم يلبسه الخوف لباس المخيلة والمراوغة، إنها حجة بالغة، ومقولة كاشفة لما
يحاول أهل السلطة والأدباء -على حد سواء- إخفاءه، وإظهاره يعني كشف اللعبة، التي في
كشفها تحطيم لنموذج تسعى السلطة ويسعى الأدباء إلى صناعته منذ قديم الأزل.

لقد استطاع أبو حيان من خلال نقل الحوار السابق تحقيق غايات مهمة في سياق
الدفاع عن موضوع كتابه، أولى تلك الغايات الاعتراف للمتلقى بما لا يريد أن يصرح به، وهو
أن سبب تخصيصه للوزيرين بالذم إنما كان لأنه لم يجد عندهما التقدير، والغاية الثانية
هي توجيه تحذير مضمحل للمخاطب السلطوي (الوزير) بأن القاعدة الواردة في الحوار قد
تنطبق عليه في حال تخلى عن التوحيدي، أو لم يعترف له بالقدر، أو ولم يكافئه بما
يستحق. لقد كان خطاباً ذكياً مزدوج الدلالة يتخفى حول شخصيتين تشبه علاقتهما تلك
العلاقة بين الوزير وأبي حيان، فالجبائي كما بين أبو حيان في جملة اعتراضية "كان في عداد
الوزراء وجلة الرؤساء"، والحاتمي كاتب أديب، وهي جملة أرادها أن تكون كذلك (اعتراضية)
رغم أهميتها؛ ليخفي غاياته من اختيار هذا الحوار وإدراجه في سياق الاحتجاج.

7- التأسيس المعرفي: تأصيل الحق في خطاب الثلب

بعد أن تأكد أبو حيان من حضور الحماية السلطوية المتمثلة في دعم الوزير، وبعد
أن حاول إقناع المتلقي الضمني بطبيعة الكتابة الثالبة التي هو بصدددها، ومدى علاقة
النوازع النفسية، والدوافع الذاتية بصناعة هذا النوع من الكتابة عموماً، يدخل إلى
موضوعه الخاص، المتعلق بالوزيرين المعنيين، مسترجعاً بعض الأفكار التي ناقشها سابقاً،
وقد كانت البداية بما يشبه الوعد الذي يقطعه على نفسه أمام المخاطب الخاص (الوزير)،
والمخاطب العام (المتلقي)، وهو وعد يحدد به طريقه التي سيسلكها في تأليف الكتاب:
"وسأجعل قصدي نحو السلامة إذا غلبني اليأس من الغنيمة، وأضيف إلى متن الحديث
فوائد كثيرة، وأجهد معذراً، وأتقصى معذوراً، وأحكم متكرماً، وأقول ما أقول رائياً؛ وراوياً؛
على أنني لا أثق بالخاطر إذا طاش، ولا باللسان إذا همز، ولا بالقلم إذا استرسل، ولا بالهوى

إذا اشتمل وسَّوْل؛ فإن الهوى يعي ويصم، ولعل الغيظ يجرح ويُجهز. وهذه آفات متدركة لا سبيل إلى التغاضي عنها⁽⁴⁴⁾.

إن ما يجعلنا نعد هذا النص بداية الدخول في الموضوع الخاص- أي الموضوع بصفته همًا ذاتيًا سيتحول إلى فعل كتابي- هو ذلك التحول إلى تفعيل الأنا في الخطاب، الذي يؤكد حضور المتكلم هنا بصفته ممتلكًا لسلطة اللغة، وتحويلها إلى فعل خطابي حجاجي، وهذا ما يمكن قراءته من اقتران الأفعال الواردة في النص بالضمير المستتر (أنا)⁽⁴⁵⁾. ولقد تكلم أبو حيان عن الهوى، فجذبه الحديث عن الهوى إلى إعادة الاعتراف بصعوبة الوصول إلى مستوى الإنصاف المأمول، ولعله أدرك أن هذه المشكلة هي محور تقييم العمل وتقديره؛ لذلك حاول أن يحوّل هذه المشكلة إلى معضلة لا حل لها، من خلال تقرير أن النقص في تناول هذا الموضوع أحبّ إليه من التزيّد: "لأن الكلام في حمد من يُحمد، وذم من يُذم، إن نُقِّ تميقاً دخله التزيّد، والمتزيّد مقلّي، وإن أرسل على غراره شأنه التّقصير، والمقصّر مُعجّز؛ ولئن يدخله التّقصير فيكون دليلاً على الإبقاء، أحبُّ إليّ من أن يدخله التزيّد فيكون دليلاً على الإرباء"⁽⁴⁶⁾، ومن ثمّ تأكيد أن هذه المحاولة لتقريب حدود النظر بمنع المبالغة والتزيّد لن تمنع حضور الهوى والميل، وإنما هي محاولة لمقاومة الهوى بتحديد المنهج: "على أن من وصف كريماً أطرب، ومن أطرب طرب، والطرب خفة وأريحية تستفزّان الطباع، وتُشبهان الحصيف بالسخيف؛ فأما من حدّث عن لئيم فإنّ أساس كلامه يكون على الغيظ، والغيظُ نارُ القلب، وخبث اللسان، وتشنيع القلم"⁽⁴⁷⁾. وما دام حضور الهوى واقعاً لا محيص منه؛ فإنه يضع المتلقي مرة أخرى في مواجهة السؤال الذي تكرر في صور كثيرة حضر في السابق معممًا، وهنا يحضر مخصصًا في شأن الوزيرين: "فكيف الإنصاف في وصف هذين الرجلين على هذين الحدين، مع سرف الهوى، ووقدان الغيظ، وعادة الجور، وداعية الفساد، وصارفة الصّلاح؟"⁽⁴⁸⁾ وبعد أن واجه متلقيه بهذا السؤال، استبق جوابه لينهي أي محاولة من المتلقي للبحث عن جواب: "وهذه أعراض لا محيص منها ولا أمان من اعترائها، ولا وافي من تعاورها، وبعض هذا مهتك ستر الجلم وإن كان كثيفاً، ويفتق جيب التجمل وإن كان مكفوفاً، ويُخرج إلى الجهل وإن كان يُقبّحه متقدماً"⁽⁴⁹⁾.

وسيستمر أبو حيان في الدفاع عن وجهة نظره، وكأن كل حجة يقدمها تُبقي في مسار الاحتجاج ثغرة تحتاج إلى مزيد من الأدلة والشواهد والحجج المقنعة، فبعد أن واجه المتلقي بالسؤال السابق، وكفاه مؤونة البحث عن الجواب- بتقديم جواب قاطع يجعل دخول

نسق المخابلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "الأخلاق
الوزيرين" _____ (المجلد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024)

الهوى في المدح والذم واقعاً لا محالة- اتجه التوحيدي إلى الحديث عن صراع واجهه منذ
بداية انبثاق فكرة الكتاب، وسيكون حديثه هنا موجهاً لخدمة الفكرة وتأييدها.

يبدأ أبو حيان كلامه في هذا الجزء من المقدمة بالعودة إلى زمن ماضٍ، زمن يمثل
بدايات التفكير في تأليف الكتاب، فقد هم بتأليف الكتاب، ولكن اعتراض بعض أشياخه
جعله يتراجع عن ذلك وكبح عنانه: "وكنْتُ هممت ببعض هذا منذ زمان، فكبح عنائي عن
ذلك بعض أشياخنا وقصّر إرادتي دونه، وزعم أنّ الاختيار الحسن، والأدب المرضي ينهيان
عنه، ولا يُجوّزان الخوض فيه"⁽⁵⁰⁾، وكانت حجة ذلك الشيخ في محاولة منع أبي حيان عن
الكتابة في موضوع الثلب أن الغيبة والشتيم ليست من أخلاق أهل الحكمة، ومن اعتاد شتم
الناس وثلهم لم يذكر بخير: "لأنّ الغيبة والقذع والعصبة"⁽⁵¹⁾ والتقيح والسب المؤلم والكلام
القاتر، والمكاشفة بالملامة والشتيمة بلا مراقبة ليست من أخلاق أهل الحكمة، ولا من دأب
ذوي الأخلاق الكريمة، وقد قال بعض الحكماء: لا تكونن الأرض أكتم منا للسّر؛ ومن اعتاد
الوقية في الأعراض، ومُباداة الناس بالسّفه، وثلهم بكل ما جاش في الصدر، وتذرع به
اللسان، فليس ممن يُذكر بخير، أو يُرجى له فلاح، أو يُؤمّن معه عيب"⁽⁵²⁾، يختم الشيخ
حجته بنصح أبي حيان بالحلم وكظم الغيظ، مستشهداً بأقوال الحكماء، وأبيات الشعراء:
"وهل الحلم إلّا في كظم الغيظ، وفي تجرّع المضض، وفي الصبر على المارة، وفي الإغضاء عن
الهفوات؛ ومن لك بالمهذب النّذب الذي لا يجد العيب إليه مُختطى"⁽⁵³⁾.

استخدم أبو حيان في الرد على ما جاء في توجيه الشيخ (استراتيجية) تقوم على
المصادقة على الحجة من جهة من أجل نقضها من جهة أخرى، فقد بدأ بالقول: إن ما قاله
الشيخ -الذي وصفه بالصالح- مذهب معروف، وصاحبه حميد، ولا يدفعه من له مسكة
من عقل⁽⁵⁴⁾، ولكن من القائل؟ وإلى من يتوجه بالقول؟ من خلال هذا السؤال يحاول أبو
حيان دفع حجة الشيخ، فأول ما بدأ به الرد الإلماح إلى أن هذا الشيخ يتحدث باسم الحاكم
الظالم، ويدافع عنه، ولا يجرؤ على قول هذا النصيحة له، وإنما اختار أن يوجهها إلى أبي
حيان لأنه الطرف الأضعف، إنها نصيحة موجهة إلى المظلوم دون الظالم: "وليت هذا القائل
ولي من نفسه هذه الولاية، وعامل غيره بهذه الوصية، وليته بدأ الكلام وما شابهه الرئيس
الذي قد أخرج تابعه إلى هذا العناء والكد، وإلى هذا القيام والتّعود! لا، ولكنه رأى جانب
البائس المحروم ألين، وعذّل المنتجع المظلوم أهون، وزجر المتلذذ بما يَنُتّه ويستريح به
أسهل؛ فأقبل عليه واعظاً، وأعرض عن ظالمه مُحابياً"⁽⁵⁵⁾.

لم يتجه أبو حيان إلى ملفوظ خطاب الشيخ ليقوضه، ولكنه اتجه إلى الدافع الذي جعل الشيخ يقول ما قاله، فالشيخ يمثل السلطة وينتعي إليها ويخاطب أبا حيان من موقعها، وما كان ذلك إلا لأن أبا حيان هو الطرف الأضعف في العلاقة مع سلطة الوزيرين، فالشيخ استخدم أكثر من سلطة: الأولى سلطته الشخصية بصفته شيخًا، وبصفته من أشياخ أبي حيان خصوصًا، والثانية سلطة الوزيرين؛ فهو كما نقرأ من كلام أبي حيان ينتعي إلى السلطة السياسية التي يمثلانها، أما السلطة الثالثة التي استخدمها الشيخ فهي سلطة المعرفة والأخلاق والدين، وقد حاول أبو حيان أن يقوّض حجة الشيخ بأن جعل نفسه ضحية لممارسة قمعية أداهاها الشيخ، بما يمثله من سلطة دينية ومعرفية، وشكك في مصداقية الشيخ ومدى تطابق كلامه مع واقعه، واتهمه اتهامًا مضمّرًا بالتواطؤ مع السلطة السياسية ضده، فكان الرد عليه مبتدئًا بالتمني: "وليت هذا القائل وليّ من نفسه هذه الولاية..."⁽⁵⁶⁾. والتمني هنا يشير إلى نفي حدوث ذلك -أي تطبيق الشيخ هذه النصيحة على نفسه أو توجيهها إلى رئيسه- وقد يصل إلى استبعاد إمكان أن يحدث.

هنا تظهر براعة العقل الحجاجي لأبي حيان، ومدى فهمه لطبيعة حجج الآخر من جهة، ولطبيعة عقل المتلقي من جهة أخرى، إذ لم يتجه إلى نقض النظام الحجاجي؛ لأنه يعلم مدى ثبوته وترسخه في عقل المتلقي، فهو نظام يشكل سلطة على وعي المتلقي، وإنما عمد إلى نزع المصداقية عن الخصم⁽⁵⁷⁾؛ ليكسب تأييد المتلقي.

يحاول أبو حيان توضيح هذه الفكرة التي يقوّض بها رأي الشيخ بقوله إن الشيخ في حال العافية والنعيم، ولو تعرّض لما تعرّض له أبو حيان؛ لتبيّن عجزه عن تطبيق نصيحته: "وبعدُ فصاحب هذا القول وادع غير مُحفظ، وموفور غير منتقص...ولو شيكٌ بحدّ قتادٍ لكتّا نقف على عريكته كيف تكون...وليس بزد العافية من حرّ البلاء في شيء"⁽⁵⁸⁾، فالشيخ ترك نصيحته لنفسه وللظالم وهو في حال السعة، ولم يطبقها في حال الاختيار، فلا يُظن منه أن يطبقها في حال البلاء، أما أبو حيان فقد ترك العمل بالنصيحة -مع اعترافه بصواب ما تضمنته- اضطرارًا، وذلك ما يتبيّن في ختام رده على ما قاله الشيخ: "وفي الجملة - أبقاك الله - ليس المضطر كالمختار، ولا المحرج كالسليم، ولا الموفور كالموتور..."⁽⁵⁹⁾.

لا يكتفي أبو حيان بالدفاع عن حقه في كتابة الثلب، بل يتوسع في احتجاجه ليؤصّل لهذا النوع من التأليف، وفي سبيل ذلك يتجه أولًا إلى الأدب بصفته الحقل الذي ينتهي إليه الخطاب، مستشهدًا في البداية بأستاذه الجاحظ الذي سبقه إلى تجربة الكتابة في هذا الموضوع: "هذا عمرو بن بحر أبو عثمان، وهو واحد الدنيا، كتب رسالة طويلة في ذمّ

نسق المخطوطة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق
الوزيرين" _____ (العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024)

أخلاق محمد بن الجهم، ومدح أخلاق ابن أبي ذؤاد، وبألف في الوصفين، وخطب على
الرُّحْلين، ولم يترك قبيحة إلا أعلقها محمداً، ولا حسنة إلا منحها أحمد، وحتى جعل ابن
الجهم مع إبليس في نصاب واحد، وابن أبي ذؤاد مع ملك في نقاب واحد⁽⁶⁰⁾. ثم يبين أبو
حيان أن دافع الكتابة عند الجاحظ إنما كان الغضب والرضا، وكأنه يبحث عن مزيد من
المشتركات بين المشروعين: "وهكذا عَمَلُ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ" إذا غضب فسب، أو رضي
فمدح وأطنب⁽⁶¹⁾. على أن ما كتبه الجاحظ -رغم دوافعه الشخصية- اشتمل على فوائد لا
تخفى على القارئ، ولعل أبا حيان هنا يسترجع طلب الوزير منه في خطابه حين بين أن
الإفادة هي الغاية من الكتابة عن الوزيرين⁽⁶²⁾: "وأفاد أبو عثمان في رسالته فوائد لا يخفى
مكانها على قارئها، وقام فيها مقام الخطيب المصقع"⁽⁶³⁾، ثم يواجه المتلقي بسؤال مهم في
سياق المحاجة: "فهل قال أحد ممن له يد في الفضل، وقدم في الحكمة، وعرفان بالأمور،
وقوله معدود فيما يُقال، وحكمه مقبول فيما يُثبت ويُزال: بئس ما صنع وساء ما أتى به؟ بل
تهادوه وحفظوه، واستحسنوه وتأدبوا به، وحذوا على مثاله وإن كانوا وقعوا دونه"⁽⁶⁴⁾. وهنا
"تبرز القوة الإنجازية لحرف الاستفهام (هل) في تقرير الحجة وتثبيتها؛ إذا يرسم معنى
الاستفهام المقترن بالفعل (قال) نفي الاعتراض"⁽⁶⁵⁾، وإنكار حدوثه. يجيب أبو حيان عن هذا
السؤال ليغلق باب احتمال الرد المختلف، بأن الناس لم ينكروا على الجاحظ ما كتبه، بل
تهادوه وحفظوه، والمهم أنهم حذوا على مثاله، ومعنى ذلك أن التوحيدي سيحذو حذو
الجاحظ، ويجعله قدوة ومثالاً.

الحديث عن الجاحظ يستدعي الحديث عن مشروعية الكتابة في موضوع الثلب
والشتم، خصوصاً على المستوى الديني، فإذا كان هذا النوع من التأليف مقبولاً في مجال
الكتابة الأدبية؛ فهل يجعله ذلك مسموحاً على مستوى الدين؟

إنها ثغرة مهمة يدرك أبو حيان أنها بحاجة إلى معالجة في سياق احتجاجة؛ لذلك
يعقب الحديث عن الجاحظ بسؤال عن سبب حضور هذا النوع من التأليف: "ولم صنف
الناس المناقب والمثالب؟ ولم نشرأ أحاديث الكرام والثناء"⁽⁶⁶⁾، وكأنه يريد أن يؤكد أن ما
فعله الجاحظ ليس بدعة، وإذا لم يكن بدعة فهو سنة، ومنهج سار عليه الجاحظ وغيره،
فإن قيل إن ما يجوز في الأدب قد لا يجوز في غيره، وأن الغيبة تظل محرمة وإن ظهرت في
مؤلفات الأدباء؛ فالرد هنا من التوحيدي بأن كثيراً "من الناس لا غيبة لهم"⁽⁶⁷⁾، بل قد يكون
"في غيبتهم أجر"⁽⁶⁸⁾، ودليله ما "وقع في الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم: اذكروا

محمد الحميد سيفه العسامي، أيمن علي، جاسر القبيسي، مجلة فصل الخطاب

الْقَاسِقُ بِمَا فِيهِ كَيْ تَحْدَرَهُ النَّاسُ⁽⁶⁹⁾ ثم يروي حديثًا ينقله عن بُرهان الصوفي، أنه "قال: ذمّ بشر الحافي بخيلاً ثم قال: إن البخيل لا غيبة له، قيل: وكيف؟ قال: لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يَا بَنِي سَلَمَةَ مَنْ سَيِّدُكُمْ؟ قالوا: الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى بُخْلِ فِيهِ، قال: فَأَيُّ ذَاكَ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ ". فذكره وليس هو بالحضرة"⁽⁷⁰⁾.

لقد بنى التوحيدي حجته هنا بناءً محكمًا، بدأ باستفهام بغرض إثارة المخاطب وتنبيهه إلى أهمية التأليف، كما يحمل هذا الاستفهام في طياته معنى اقتضائيًا إنجازيًا مفاده أن التأليف جارٍ من قبله ومن بعده، ثم انتقل إلى مجال التقويم الأخلاقي، إذ يقرر حكمًا أخلاقيًا "كثير من الناس لا غيبة لهم، أو في غيبتهم أجر"، وبما أن هذا الحكم قد يتعارض مع ثقافة المتلقي الدينية التي ترى أن الإسلام نهى عن الغيبة، فقد كان على التوحيدي إثبات هذا الحكم من داخل ثقافة المتلقي الدينية نفسها، ومن خلال السنة النبوية، لذلك استدل بدليلين يؤيدان حكمه، فيقضي على الاعتراض المتوقع على الحكم⁽⁷¹⁾.

يعرض أبو حيان نماذج أخرى مما كتبه الأدباء، ويظهر أنه يحاول إثبات ما قاله في النص السابق من أن الجاحظ ليس وحيدًا في هذا المجال، فيستعرض عددًا من الرسائل لشخصيات أدبية، مثل: أبي العيناء وأبي العباس عبيد الله بن دينار، ويردف تلك الرسائل بالتعليق والمناقشة، ومن خلال هذا العرض ظهر أنه يسعى لتحقيق غايتين: فأما الأولى فهي إثبات حضور هذا النمط من التأليف في كتابات الأدباء، وهذا ما بيّنه في نهاية مرافحته الحجاجية الطويلة قائلاً: "والذي ذكرته عن الجاحظ فليس هو أول من اقتضبه وسنّه، بل قد سلف فيه قوم كرام، وخلف عليه ناس من جلة الناس. أنا قرأت رسالة لابن المقفع في معائب بعض آل سليمان"⁽⁷²⁾. وأما الغاية الثانية فهي بيان ما وصل إليه بعض الأدباء في رسائلهم من حشد "معانٍ إقذاعية تصل درجة الفحش وهتك العرض، محاولاً بهذا الاستعراض أن يتدارك أي ردة فعل انعكاسية قد تودي بمسار الكتابة والحجاج مستقبلاً"⁽⁷³⁾.

يتصاعد الخطاب الحجاجي عند أبي حيان في دفاعه عن حقه في التأليف في موضوع المثالب لـ "تبلغ الذات الكاتبة أقصى حدود المبالغة والإفراط في دفاعها عن كتابتها وذاتها، إذ تستند إلى المطلق ذاته، مؤكدة اقتداءها بالله رب العالمين، فهو أول من ذم ولام، وشكر وحمد في نصه المقدس. وقد أورد الله تعالى في كتابه الكريم أخبار الفسقة والظالمين، وذم الكافرين والطغاة... وهكذا فلم يعد الأمر محض عادة إنسانية جارية على الزمن، ولا إقامة للعدل وتحقيقاً للإنصاف بالمعنى الاجتماعي والقيمي، بل غدا جزءاً من الخطاب والقانون

نسق المأثلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتابه "الأخلاق
الوزيرين" _____ (العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024)

الإلهي⁽⁷⁴⁾، وهذا ما يظهر جلياً في قوله بعد أن عرض أدلته من الأدب: "وبعد فحمدُ المُحسن
وذمَّ المُسيء أمران جاريان على مَرَّ الزمان مُذ خلق الله الخلق، وعلى ذلك يجري إلى أن يأذن
الله بفنائه، وهو عزَّ وجلَّ أول من حمد وذمَّ، وشكر ولامَّ، ألا تراه كيف وصف بعض عباده
عند رضاه عنه فقال: (نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ، وقال في آخر (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) ، وعلى
هذا، فإنه أكثر من أن يُبلغ آخره، ثم انظر كيف وصَفَ آخر عند سخطه عليه وكرهته لما
كان منه فقال: (هَمَّا زِمَ شَاءَ بِنَمِيمٍ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ)"⁽⁷⁵⁾، وهو نص
مثير للانتباه يشير إلى وصول الاحتجاج مرحلة يهدف أبو حيان من الوصول إليها إلى إسكات
كل اعتراض، والرد على كل حجة، من خلال الاستناد إلى سلطة المقدس، ليصل إلى القول:
"ونحن قد اقتدينا بالله رب العالمين، وجرينا على عادة الأنبياء"⁽⁷⁶⁾.

وبعد أن أطلأ أبو حيان الاحتجاج لكتابه، مستدعيًا كل سؤال محتمل، ومناقشًا كل
رأي يمكن أن يثيره كلامه، أو كتابه فيما بعد، بقي سؤال مهم، هو سؤال لو لم يعرضه أبو
حيان، ويجيب عنه جوابًا مقنعًا لكان مشروعه الكتابي كله معرضًا للهدم، السؤال هو:
أليس الصمت أكثر نفعًا، وأبعد ضررًا من كثير الكلام، والدخول في هذه الإشكالات المعقدة
كلها؟

يبدأ أبو حيان كعادته في عرض حجة الخصم فيقول: "وإنما أشكل القول في هذا
المذهب على قوم مدحوا الصمت، وكرهوا كثير القول؛ وقليل الكلام عندهم فضل، وكثيره
هُجْرٌ، وفيه اللغو الذي يجب أن يُتجنب، والحشو الذي لا ينبغي أن يُعتاد"⁽⁷⁷⁾. ثم يرد على
هذا الرأي معرضًا بجهل القائلين به الفرق بين التفهيق والبلاغة، فموضوعه الذي يكتب فيه
لا يدخل في باب التفهيق والتشديق، وإنما هو من البيان والحكمة، ولم يغزر الأدب ويكثر
العلم إلا بقصص الأشخاص وحيواتهم وذكر شرهم وخيرهم، ومعنى ذلك أن موضوع الثلب
إنما هو منهل من المناهل التي تستقى منها المعارف والعلوم والآداب، ومصدرٌ من مصادر
الكتاب: "وهؤلاء قوم - أكرمك الله - لا يعرفون فضل ما بين التفهيق المذموم والبلاغة
المحمودة... ومتى كان ذكر المهتوك حراماً، والتشنيع على الفاسق مُنكرًا، والدلالة على التفاف
خطأ، وتحذير الناس من الفاحش المتفحش جهلاً؟ هذا ما لا يقوله من قام بالموازنة
وبالمكايلة، وعرف الفرق بين المكاشفة والمجاملة؛ وإنما غَزُرَ الأدب، وكثُرَ العلم... لما وقفوا
عليه من أنباء الناس وقصصهم وأحاديثهم في خيرهم وشرهم، وفي وفائهم وغدرهم... والمكارم
التي بقيت لهم، والفضائح التي زكدت عليهم..."⁽⁷⁸⁾.

انتهى أبو حيان من الرد على حجة القائلين بفضل الصمت، ثم التفت إلى رأي آخر رأى أنه يمكن أن يسبب ارتباكاً في تلقّي كتابه إذا لم تتم مناقشته، وهو ما يمكن صياغته في السؤال الآتي:

هل هذا النوع من الكتابة هجاء ومدح كالهجاء والمدح عند الشعراء؟ يجب أبو حيان عن هذا السؤال الافتراضي بقوله: "فأما الشعراء وأصحاب النظم، وأرباب المدح والهجاء، والثلب والحمد، والتشنيع والتّحسين فهم كالطّم والرّم؛ لا يكسبون إلا بهذا المذهب، ولا يعيشون إلا على هذا الاختيار، ولهم الهجاء المنكر، والقول المخزي، والقذع المؤلم، واللفظ الموحج؛ والتعريض الذي يتجاوز التصريح، والتصريح الذي يجمع كل قبيح... وإنما المدار على الصّدق في القول، وعلى تقديم الحق في العقد، وقصد الصّواب عند اشتباه الرأي وغلبة الهوى"⁽⁷⁹⁾.

يرجع أبو حيان فيؤكد أن عمله ليس مجرد ردّ فعل ذاتي له ما يسوغه، فكتابه يندرج ضمن سياق ثقافي من الكتابات المماثلة، تمثّل تحقيقاً لوعده الله بنصرة المظلوم، وبذلك يصبح عمله قرينة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى: "ولا بد لمن ظلم من أن يتظلم، وكيف يكون المظلوم إذا انتصر ظالماً، والله يقول: (وَلَمَّا اتَّخَذَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ، ولو كان المظلوم إذا تظلم ظالماً، لكان الظالم إذا ظلم معذوراً؛ وكما هجّن الله لوم المحسن، فكذلك حسن توبيخ المسيء، وكما أثاب على تزكية من كان طاهراً، كذلك أجر على جرح من كان مدخولاً؛ ألا ترى أن التقرب إلى الله بعداوة أبي جهل، وذمه ولغنه وذكر لومه وخساسته، كالتقرب إلى الله بولاية أبي بكر ومدحه والترحم عليه وذكر فضله وبلائه ونصرتة؛ وهذا مستمر في غير أبي جهل ممّن عادى الله ورسوله صلى الله عليه، كما أنه مستمر في غير أبي بكر ممّن أطاع الله ورسوله"⁽⁸⁰⁾.

تمنح الذات الكاتبة كتابتها عذراً شرعياً حين تجعلها واجباً تكليفاً، فالفسقة والمنافقين وأهل الفحش والكفر والكيد والعداوة والدناءة... لا غيبة لهم، بل إن ذكر آثامهم وكشف حقيقتهم مما يؤجر عليه، ويثاب المرء من أجله، ومن ثم تتبدّى الذات الكاتبة في هذا السياق وكأنها مبعوثة العدالة الإلهية، إذ يغدو تشنيعها على هؤلاء الفسقة المهتوكين تحذيراً للناس منهم⁽⁸¹⁾.

خصص التوحيدي الجزء الأكبر من المقدمة لإثبات مشروعية الكتابة في موضوع الثلب عمومًا، وبعد أن اطمأن لجهوده في إقناع المتلقي بقبول هذا النوع من الكتابة، تنبّه إلى أن المتلقي الذي أقنعه بمشروعية خطاب الثلب في العموم قد لا يقتنع بأن يكون

نسق المختلة عند أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق
الوزيرين" العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024

الوزيران مادة الكتاب، فهما شخصيتان لهما مكانة على المستويين السياسي والأدبي، ورغم أن من غايات الكتاب أن يقنع المتلقي في النهاية باستحقاقهما للثلب؛ فقد رأى أبو حيان أن يثبت على الأقل صدقه، الناتج عن طبيعة علاقته بالوزيرين، وموثوقية مصادره؛ ليضمن بذلك استعداد المتلقي لاستقبال الكتاب، وتجاوز عقبة الرفض المسبق، الذي تدفعه إليه الصورة النمطية المرسومة للوزيرين، ومعلوماته السابقة عنهما: "ولست أدعي على ابن عبّاد ما لا شاهد لي فيه، ولا ناصر لي عليه، ولا أذكر ابن العميد بما لا بينة لي معه، ولا برهان لدعواي عنده...لأن غايي أن أقول ما أحطت به خبراً، وحفظته سماعاً"⁽⁸²⁾.

يباشر أبو حيان لعبة يمكن أن نسميها (مختلة الأقوال) وهي حيلة حجاجية توجيهية يمارسها المتكلم بواسطة تفعيل النموذج المخالف للخطاب، وهو ما يتيح للمتلقي فرصة التمعن والفحص؛ ليؤول المآل به إلى الامتثال والانصياع لإرادة المتكلم مصادقاً على فعله التخاطبي، مصادقة الائتلاف والوفاق بعد الوثوب من رقعة التحاور التفاوضي الإيهامي⁽⁸³⁾، إذ يقول: "وسهل عليّ أن أقول، لم يكن في الأولين والآخرين مثلهما، ولا يكون إلى يوم القيامة من يَغشِرهما اصطناعاً للناس، وجُلماً عن الجُهال، وقياماً بالثواب والعقاب، وبذلاً لقنية المال...وأن النقص لم يشنهما بوجه من الوجوه، وأن العجز لم يَغترهما في حال من الأحوال"⁽⁸⁴⁾. يفتح هذه الحيلة بقوله "سهل عليّ" التي تحيل على مقصد خلق الأنا واستعلائها بقدرتها الأدبية في قلب الحق باطلاً والباطل حقاً، ولكن الغرض الأخلاقي وتحري الحقائق هو ما يمنعه من هذا الصنيع الذي يستدركه بقوله: "ولكن قد يسمع هذا الكلام مني من شاهدهما، وتبطّن أمرهما، وخبر حالهما وعرف ما لهما وما عليهما، فلا يتماسك عن زجري وخسائي...ولا يجد بداً من أن يردّ قولي في وجهي"⁽⁸⁵⁾.

يحمل النص السابق دلالات كثيرة متصلة بمحاولة إثبات المصادقية، منها ما يمكن أن نفهمه من القول: إن مدح هذين الرجلين سهل، وفي هذا الرأي -فضلاً عما سبق بيانه- تعريض بأن الصورة التي رُسمت لهذين الوزيرين إنما صنعها هذا المدح السهل الذي يقال مقابل العطاء، وذلك ما يبينه أبو حيان بعد أن ذكر أن المتلقي المنصف لو سمع المدح السهل منه لا تهمه بالكذب، فالمستمع سيتهمه مباشرة بأنه يمدح كذباً مقابل العطاء: "ولا يلبث أن يقول: انظروا إلى هذا الكذب الذي ألفه...بسبب ثوب لعله أخذه، أو درهم ثنى عليه كفه، أو حاجة خسيصة فضيت له"⁽⁸⁶⁾.

تقوم حجة أبي حيان -التي يسعى بها إلى تزكية نفسه من الكذب في الكتابة من أجل المال- على المقارنة بين المدح السهل الذي يبلغه المال، والثلب الصعب الذي إن لم يسبب له الأذى فعلى الأقل لن يبلغه المال الذي كان يمكن الحصول عليه عبر الطريق الأخرى، ومن ثم فإن اختياره الطريق الأصعب، وتضحيته، كافيان لمنح الخطاب المصدقية التي يعدها أبو حيان مصداقية تتجاوز هذا الكتاب إلى الوثوق بما كتبه سابقاً وبما سيكتبه لاحقاً، أي أنها تكسبه ثقة المتلقي، وتؤسس لعلاقة إيجابية معه، لذلك يقول معلماً بعد أن عرض رد المستمع المنصف على المدح المفرط : "فلا يكون حينئذٍ لقولي قابل، ولا لحُكمي ملتزم...وفي الجملة لا يكون لدعواي مُصدّق"⁽⁸⁷⁾.

يدرك أبو حيان أن القارئ قد لمس الحضور القوي لرغبة الانتقام الشخصي، الذي ظهر في كثير من المواضع في نص المقدمة، ولأن أبا حيان دائم الملاحظة لما يثيره خطابه من التساؤلات، فقد توقع أن يثير حديثه عن المدح السهل -وما يمثله من ادعاء لمثال قد لا يرتقي الواقع إلى درجته- سؤالاً مقابلاً عن الذم السهل المفرط، خصوصاً في حال الغضب والرغبة في رد الاعتبار، التي يعيشها التوحيد. وسؤالاً آخر عن موقف أبي حيان لو أن أحد الوزيرين أجزل له العطاء، هل كان سيوجه إليه سهام الثلب؟

وقد جاء رد أبي حيان بأنه اتصل بابن عباد طمعاً في الجاه والمال، وامتلئ من أجل ذلك لأمره بأن يعمل ناسخاً تسعة أشهر، ولم يجد منه مكافأة على ذلك، ولو وجد منه بعض ما كان يطمح إليه لكان له من الشاكرين، وإساءته من الساترين، يقول: "ولعمري لو انقلبت عن ابن عباد - بعد قصدي له من مدينة السلام وإناختي بفنائيه مع شدة العُدم والإنقاض، والحاجة المزعجة عن الوطن، وصفر الكفّ عما يُصان به الوجه...وصبري على ما كلفني نسخه حتى نشبتُ به تسعة أشهر خدمةً وتقرباً، وطلباً للجدوى منه، والجاه عنده - ببعض ما فارقت من أجله الأعزّة، وهجرت بسببه الإخوان...لكننت لإحسانه من الشاكرين وإساءته من الساترين، وعند ذكره بالخير من المساعدين المصدقين، وعند قرفه بالسوء من الدّائنين الممتعضين"⁽⁸⁸⁾.

يحاول أبو حيان من خلال هذا النص أن يفرق بين المدح المفرط الذي مثّل له في النص المذكور سابقاً والشكر على الإحسان، فلو أنه وجد من ابن عباد ولو القليل لكان شاكراً لإحسانه، وساتراً لإساءته، وهنا يخرج أبو حيان نفسه من دائرة المادحين المفرطين، إذ لم يقل: إنه لو أعطاني لمدحته مدحاً يتجاوز حدود ما يستحق، بل قال: كنت سأشكره وسأستر إساءته، وهذا خلق محمود، واعتراف بالفضل لأهله، كما أن المكافأة التي حُرِم منها

نسق المقاتلة محمد أبي حيان التوحيدي قراءة تحليلية تأويلية لكتابه "أخلاق الوزيرين" _____ (العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024)

لم تكن مقابل مدح، بل كانت مقابل عمل دفعته إليه الحاجة، فالعطاء هنا حق وليس كمكافأة المادح المنتظر للعطاء الجزيل. ويمكن أن نفهم مما قاله أبو حيان أن موقفه من ابن عباد ليس موقف الطامع فيما لا يستحقه، بل موقف المحروم من القليل مما يستحقه. لقد دعم أبو حيان خطابه إضافة إلى المحاجة العقلية بالاستدراك العاطفي، محاولاً كسب المتلقي إلى جانبه، وجعله يستقبل ما سيأتي من الشكوى استقبال المتعاطف الذي سيميل إلى جانب المظلوم المقهور، الباحث عن حقه ممن ظلمه: "مع شدة العُدْم والإنقاض، والحاجة المُرْجعة عن الوطن، وصفر الكفّ عما يُصان به الوجه..."⁽⁸⁹⁾؛ لذلك سيتجه بالخطاب إلى التهديد المباشر لابن عباد، والوقوف في وجه سلطته، وكأنه في هذه اللحظة قد اطمأن إلى التحصن بكل السلطات الممكنة: سلطة الوزير، وسلطة العقل، وسلطة الدين، وسلطة المتلقي الغائب، وستتجسد كل هذه القوى لتكون سلاحاً بيده، هو سلاح الكتابة: "ولكنني ابتليْتُ به، وكذلك هو ابتليَ بي، ورماني عن قوسه مُغرِقاً فأفرغتُ ما كان عندي على رأسه مغيظاً؛ وحرَمَني فازدَرَيْته، وخصَّني بالخِبة التي نالت مني، فخصصته بالغيبة التي أحرقتة، والبادي أظلم، والمتنصف أعذر، ولئن كان منعني ماله الذي لم يبق له، فما حظر عليَّ عرضه الذي بقي بعده، ولئن كنتُ انصرفت عنه بخُفي خُنين لقد لصق به من لساني وقلبي كل عارٍ وشنارٍ وشينٍ، ولئن لم يرني أهلاً لثأله وبرّه، إني لأراه أهلاً لقول الحق فيه، ونبتٌ ما كان يشتمل عليه من مخازيه، ولئن كان ظنُّ أن ما يصير إليَّ من ماله ضائع، إني لأتبيّن الآن أن ما يتّصل بعرضه من قولِي شائع، والحساب يُخرج الحاصل من الباقي، والنظرُ يميّز الصحيح من السقيم، والاعتبار يفرد الحق من الباطل، والمُنصف في الحُكم يعزير المظلوم ويلوم الظالم"⁽⁹⁰⁾. إننا أمام لحظة الانفجار، لحظة الشعور بالانتصار، لحظة المواجهة بين المظلوم والظالم.

إنها بالنسبة إلى أبي حيان لحظة ثورية، يعلن فيها أن الظالم الذي ظن أن سلطته ستحميه، سيواجه ظلمه بحد الكتابة التي ستخلد ويفنى: "وأجهل الناس في ارتفاع منزلته، من ظنَّ أنَّ عرضه في خفارة قُدرته، وأنَّ المُقدم عليه مُتعرض لنكيره، وخير من هذا الظن أن يحتمل ألم مُفارقة المال ببعض الميسور، حتى لا يقرف بشيء لا غاسل له، ولا نافح عنه"⁽⁹¹⁾. السلطان الجاهل من لا يدرك أثر الكلام المدمر، الذي يصل إلى حد أن يكون الهروب والموت أهون من التعرض له والصبر عليه: "والله للخروج من الطّارف والتّالد أسهل من التعرّض

لهذا القول والصبر عليه وقلة الاكتراث به، ولهذا بكت العرب من وقع الهجاء كما تبكي
الثكلى من النساء...⁽⁹²⁾.

يستبق أبو حيان ردات فعل المتلقي وكأنه يراقب أثر الخطاب فيه، وما ينتج عنه من إشكالات، وما يثيره من تساؤلات، وهذا ما يمكن ملاحظته في معظم أجزاء المقدمة، لذلك فإنه يعلم أن انتهاء المقدمة بهذا الخطاب المشحون بنشوة الاقتراب من الانتصار سيجعل المتلقي يعيد التساؤل عن قدرة منتج مثل هذا الخطاب على الوفاء بوعده، والالتزام بشروطه التي تعهد بتنفيذها، وأول تلك الشروط تحري الحقيقة والصدق والإنصاف في وصف حال الوزيرين، فالغاضب المنفعل قد يفقد السيطرة على خطابه وينجرف وراء الدوافع الذاتية، وهذا ما جعل أبا حيان يختم المقدمة بتذكير المتلقي بأنه رغم ما يحمله من الشعور السلبي تجاه الوزيرين، فسيلتزم بتوثيق ما سيورده عنهما والتحقق من مصادره؛ ليقيم الشاهد، ويمنع كل لائمة، ويبلغ غاياته من الكتابة، وكأنه يعلن أن القصاص سيكون عادلاً رغم الغضب والاستياء: "وإذا احتججت بالعيان في وصف هذين الرجلين في الكرم واللؤم فقد رفعت الجزية، وإذا أقمت الشاهد على الدّعى فقد منعت من اللائمة، وإذا رأيت الضرورة فقد بلغت الغاية؛ وأي خفقة للقلب بعد اليقين، وأي وحشة للنفس بعد الاستصبار، أم أي بقية على المحتج إذا وصل البرهان، أم كيف يُستحيا في الحق وإن كان مُراً، أم كيف يُعتذر من الصدق وإن كان موجعاً"⁽⁹³⁾.

وهكذا يمكن القول: إن المقدمة الطويلة لكتاب (أخلاق الوزيرين) لم تكن مجرد مقدمة تمهيدية للكتابة في موضوع ما، إنها حكاية تأليف، شخصيتها الرئيسية أبو حيان، تحكي رحلة مثقف يطمح إلى الكتابة في موضوع يشغله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بظهور شخصية سلطوية قوية يمثل حضورها حدثاً مفصلياً في السرد، لذلك يمكن النظر إلى خطاب الوزير بأنه نقطة التحول الكبرى في رحلة تأليف الكتاب، فخطاب أبي حيان الذي قرأناه قبل خطاب الوزير ليس خطابه الذي قرأناه بعده، لقد منحه خطاب الوزير القوة والسلطة التي مكنته من إكمال رحلته نحو الكتابة. وبذلك السلطة ومن خلالها استطاع أن يستجلب السلطات الأخرى، ليشيد سوراً منيعاً من القوة، يجعله ينطلق نحو غايته بلا خوف ولا موارد، فهو لم يكتف بسلطة السياسي وحمايته التي منحها له الوزير، بل جعلها حافزاً لتأسيس الكتابة في موضوعه (الثلب)، وتحشيد كل السلطات الأخرى الممكنة، ابتداء من سلطة الدين، مروراً بسلطة الأدب والتاريخ، وصولاً إلى سلطة المتلقي، ليلج إلى موضوعه متدرجاً بتلك السلطات، ولكن سلاحه الأقوى ودرعه الأمتن، والذي كان باب الدخول إلى

نسق المختلة عند أبي حيان التوحيدى قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق
الوزيرين" _____ (العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024)

القوى الأخرى هو سلطان السياسي، لذلك يمكن القول: إن نسق الخطاب، ونظامه المهيمن
على الكتابة في كتاب الوزيرين هو (نسق التدرج بالسلطة).

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن إيجاز النتائج التي وصل إليها في الآتي:

1- تبين من خلال القراءة التحليلية التأويلية للكتاب أن أبا حيان قد سعى من خلال
عناصر بنية الكتاب إلى تمهيد الطريق لطرح موضوع إشكالي هو موضوع الثلب وكشف
المعائب.

2- لقد كان اختيار العنوان إذا اتفقنا على العنوان الراجح (أخلاق الوزيرين) الوسيلة
الأولى لإيهام المتلقي بموضوعية النقد في الكتاب، وتبرئة الذات في الوقوع تحت تأثير نزعة
الانتقام من الوزيرين.

3- استمرت هذه العناية بتحبيد الذات عن موضوع الكتاب في مقدمة الكتاب التي
بدأت بدعاء تظهر فيه الذات الكاتبة متجردة من الهوى، ومنكرة لفعل الغيبة والشتم
انطلاقاً من مرجعية أخلاقية إسلامية.

4- يمكن أن نعد مقدمة الكتاب تدويناً لمراحل تأليفه ابتداء من طلب الوزير مروراً
بالصراع بين رغبة الذات ورغبة الآخر والرادع الأخلاقي والديني والأدبي، وصولاً إلى القرار
النهائي بالتأليف.

5- لقد كانت مقدمة الكتاب بمثابة خطاب احتجاجي بدا أن المتحكم في مساره
حضور الآخر السلطوي المتمثل في الوزير الذي يسعى لدفع أبي حيان إلى تأليف هذا الكتاب،
مستغلاً موقف أبي حيان الشخصي من الوزيرين (ابن عباد وابن العميد).

6- استطاع أبو حيان أن يستثمر تلك الرغبة لدى الوزير ليجعل منها مصدراً
للحماية، ومحركاً للكتابة، وحجاً عن الخوف، ومحفزاً لتحقيق رغبته الكامنة في تأليف
الكتاب الذي تبين أن من أهم دوافع كتابته الانتصار للذات. وبذلك كان (التدرج بالسلطة)
عنواناً للنسق الفرعي لخطاب الكتاب، والذي يمكن أن ندرجه تحت نسق أعم وأشمل،
تميزت به كتابة أبي حيان عمومًا، وتجلى في هذا الكتاب هو (نسق المختلة).

مراجع البحث وإحالاته:

- (1) التوحيدى، أبو حيان، أخلاق الوزيرين، تحقيق: محمد تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق، د.ط، 1993م، مقدمة المحقق، ص 4-5.
- (2) أخلاق الوزيرين، ص 13.
- (3) نفسه، ص 45. وانظر: مقدمة المحقق، ص 4.
- (4) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامّة: نموذج القرن الرابع الهجري أبو حيان التوحيدى، دار المدى، دمشق، ط1، 2012م، ص 21.
- (5) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدى: مقارنة تداولية حجاجية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2020م، ص 68.
- (6) أخلاق الوزيرين، ص 1.
- (7) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدى، مرجع سابق، ص 90.
- (8) نفسه، ص 81.
- (9) أخلاق الوزيرين، ص 9.
- (10) الهلول، عبدالله، المتكلم واستراتيجيات السرد في أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدى، ندوة المتكلم في السرد العربي القديم، جامعة منوبة، تونس، 2011م، ص 175.
- (11) نفسه، الصفحة نفسها.
- (12) الهلول، عبدالله، المتكلم واستراتيجيات السرد، مرجع سابق، ص 173-174.
- (13) التوحيدى، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018م، 70/1.
- (14) نفسه، 71-70/1.
- (15) نفسه، 71/1.
- (16) انظر: الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 84.
- (17) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامّة، مرجع سابق، ص 77.
- (18) الإمتاع، 71-70/1.
- (19) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامّة، مرجع سابق، ص 77.
- (20) أخلاق الوزيرين، ص 9.
- (21) نفسه، الصفحة نفسها.
- (22) أخلاق الوزيرين، ص 9-10.
- (23) نفسه، ص 10.
- (24) نفسه، ص 11.

- (25) نفسه، ص 11.
- (26) أخلاق الوزيرين، ص 12.
- (27) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامية، مرجع سابق، ص 27.
- (28) أخلاق الوزيرين، ص 13.
- (29) نفسه، ص 14.
- (30) نشير هنا إلى جواب أبي حيان على خطاب الشيخ في الإمتاع والمؤانسة الذي ابتدأ بقوله: "فهت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا، ووعيته وعيا تاما، وبان لي الرشد في جملته وتفصيله، والصلاح في طرفيه ووسطه، والغنيمة في ظاهره وباطنه، والشفقة من أوله إلى آخره. وأنا أعيده ههنا بالقلم، وأرسمه بالخط وأقيدته باللفظ، حتى يكون اعترافي به أرسى وأثبت، وشهادتي على نفسي أقوى وأؤكد، ونكولي عنه أبعد وأصعب، وحكمك به لي وعليّ أمضى وأنفذ"، والاختلاف هنا أن هذا الرد قد جاء استباقيا قبل أن يدون أبو حيان خطاب الشيخ، انظر: الإمتاع، 26/1.
- (31) أخلاق الوزيرين، ص 15.
- (32) نفسه، ص 15-16.
- (33) نفسه، ص 16.
- (34) أخلاق الوزيرين، ص 16.
- (35) نفسه، ص 17.
- (36) أخلاق الوزيرين، ص 18-19.
- (37) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 96.
- (38) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامية، مرجع سابق، ص 50.
- (39) نفسه، ص 52.
- (40) أخلاق الوزيرين، ص 19.
- (41) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 93.
- (42) أخلاق الوزيرين، ص 21-22.
- (43) أخلاق الوزيرين، ص 22-23.
- (44) نفسه، الصفحة نفسها.
- (45) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 97.
- (46) أخلاق الوزيرين، ص 37.
- (47) نفسه، الصفحة نفسها.
- (48) نفسه، الصفحة نفسها.

- (49) نفسه، الصفحة نفسها.
- (50) أخلاق الوزيرين، ص 38.
- (51) العضية: الهيئة، وهي الإفك والبهتان والنميمة، وجمع العضه عضاه وعضات وعضون. وعضه يعضه عضها وعضها وأعضه: جاء بالعضية. وعضه يعضه عضها وعضية: قال فيه ما لم يكن. انظر: لسان العرب، مادة (ع ض ه).
- (52) أخلاق الوزيرين، ص 38.
- (53) نفسه، الصفحة نفسها.
- (54) نفسه، ص 39.
- (55) نفسه، الصفحة نفسها.
- (56) أخلاق الوزيرين، ص 39.
- (57) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 107.
- (58) أخلاق الوزيرين، ص 40.
- (59) نفسه، ص 41.
- (60) نفسه، ص 41-42.
- (61) نفسه، ص 43.
- (62) انظر: نفسه، ص 9-10، 13.
- (63) أخلاق الوزيرين، ص 44.
- (64) نفسه، الصفحة نفسها.
- (65) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 113.
- (66) أخلاق الوزيرين، ص 44.
- (67) نفسه، الصفحة نفسها.
- (68) نفسه، الصفحة نفسها.
- (69) نفسه، الصفحة نفسها.
- (70) نفسه، ص 44-45.
- (71) انظر: الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 115.
- (72) أخلاق الوزيرين، ص 71.
- (73) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 117.
- (74) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامّة، مرجع سابق، ص 34.
- (75) أخلاق الوزيرين، ص 67.
- (76) نفسه، ص 69.

نستق المخابراتة عند أبي حيان التوحيدى قراءة تحليلية تأويلية لكتاب "أخلاق
الوزيرين" _____ (العدد الثالث عشر / العدد الأول / مارس 2024)

- (77) أخلاق الوزيرين، ص 70.
(78) نفسه، ص 70-71.
(79) نفسه، ص 74.
(80) أخلاق الوزيرين، ص 77-78.
(81) فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامّة، مرجع سابق، ص 34.
(82) أخلاق الوزيرين، ص 79.
(83) الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان، مرجع سابق، ص 140.
(84) أخلاق الوزيرين، ص 79-80.
(85) نفسه، ص 83.
(86) أخلاق الوزيرين، ص 83-84.
(87) نفسه، ص 84.
(88) نفسه، ص 85.
(89) أخلاق الوزيرين، ص 85.
(90) نفسه، ص 86-87.
(91) نفسه، ص 89.
(92) نفسه، ص 90.
(93) أخلاق الوزيرين، ص 93.

مصادر ومراجع البحث:

- 1- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 2004م.
- 2- المهلول، عبدالله، المتكلم واستراتيجيات السرد في أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدى، ندوة المتكلم في السرد العربي القديم، جامعة منوبة، تونس، 2011م.
- 3- التوحيدى، أبو حيان، أخلاق الوزيرين، تحقيق: محمد تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق، د.ط، 1993م.
- 4- التوحيدى، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018م.
- 5- الخالدي، آيات، أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدى، مقارنة تداولية حجاجية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2020م.

6- فؤاد، هالة، المثقف بين السلطة والعامّة: نموذج القرن الرابع الهجري أبو حيان التوحيدي، دار المدى، دمشق، ط1، 2012م.